أساليب الكفاح الدولى
بين الأمس واليوم
بقلم باحث دبلوماسى كبير

تثير المشاكل العسكرية والسياسية العالمية الحاضرة كثيراً من التأملات ؛ وأول ما يلاحظ فيها أن أساليب الحرب والكفاح المادية بين الدول قد طرأ عليها تغيير جوهرى حاسم ، بينما نرى أساليب الكفاح السياسى تقوم فى جوهرها على نفس الأسس التى قامت عليها منذ قرون ، ويكفى أن نرجع إلى عشرين عاما فقط ، أعنى إلى الحرب الكبرى ، لنرى إلى أى مدى وسائل تطورت أساليب الحرب ؛ ففى أثناء الحرب الكبرى كانت الحرب الجوية لا تزال فى بدايتها ، وكانت المخترعات والأسلحة الجديدة المهلكة مثل الغازات السامة والدبابات لا تزال فى دور التجربة ، ولم يعلم يومئذ مبلغ فعلها أو أثرها فى تطور أساليب الحرب . أما اليوم فقد غدت الأساطيل الجوية أروع وأفعل وسائل الحرب السريعة المهلكة ، وغدت الغازات السامة سلاحاً يعتمد عليه ويحسب حسابه ويتحوط لدرئه والوقاية منه فى جميع الأمم المتمدنة ؛ وغدت الدبابات الضخمة وحدة فنية ثابتة فى معظم الجيوش الكبرى ؛ وهذه أمثال فقط مما ذاع وعرف من أسلحة الحرب المعاصرة ، ولكن لا ريب أن هناك أسلحة ووسائل مهلكة أخرى لم تعرف ولم تذع بعد ، وإن كنا نسمع عنها بعض الروايات الغريبة المدهشة ، ومن المحقق أنها ستوم تنشب حرب عالمية جديدة ، أو حرب طاحنة بين دولتين عظيمتين ، ستقع على العالم وقع الصواعق ، وتحدث ثورة جديدة هائلة فى أساليب الحرب والقتال

ونرى من الجهة الأخرى منظراً غريباً من مناظر الكفاح الدولى الحديث هو العقوبات الدولية ، فهنالك اليوم زهاء خمسين دولة من دول العالم ، وبينها عدة من الدول العظمى ، تبحث فى جنيف فى فرض عقوبة جديدة على ايطاليا تكون حاسمة فى وقف اعتدائها على الحبشة ، وذلك بعد أن فرضت عليها العقوبات الاقتصادية الاجماعية وأحدثت فى شؤونها الداخلية والاقتصادية أزمات ومتاعب شديدة ؛ وهذه العقوبة الجديدة تنحصر فى حظر تصدير البترول والحديد والفحم إلى ايطاليا ، والمقدر أن تنفيذ هذه العقوبة يكون ضربة قاضية على المغامرة الايطالية فى الحبشة ، وأنه يؤدى سريعاً إلى شل الحركات العسكرية الايطالية ، لأن ايطاليا تعتمد على الخارج فى استيراد هذه المواد الحيوية اللازمة لتموين أساطولها وطياراتها ودباباتها ، وكل حركاتها ومشاريعها العسكرية ؛ وحرمانها من هذه المواد يقضى على كل هذه المشاريع والحركات ، ويجعل من أساطيلها وطياراتها ودباباتها قطعاً من الحديد والصلب لا حياة فيها ؛ ثم نرى الدول تذهب فى تفكيرها إلى أبعد من ذلك ، فتقدر أن ايطاليا قد استوردت من هذه المواد ما يكفيها زمناً ، أو أنها ستظفر على أى حال باستيراد البترول من إحدى الدول التى لا توافق على حظره ، فتفكر فى وسيلة أخرى هى حظر نقل البترول إلى ايطاليا على سفن الدول المشتركة فى توقيع العقوبات ، وهذه الدول محدودة معروفة ، وايطاليا لا تملك من سفن نقل البترول ما يكفى لاستيراد ماتبغيه

فهذه وسائل جديدة مبتكرة فى ميدان الكفاح الدولى ؛ ولكنها لا تخلو من روح القديم أيضاً ، بل لا تخلو من وسائله ، فهى فى الواقع نوع من الحصار السلمى العام ، وهى تؤدى إلى نفس النتائج التى يؤدى اليها الحصار العسكرى أو البحرى ، وكل ما هنالك أنه قد أسبغ عليها تأييد دولى عام يجعلها بعيدة عن صفة النضال الشخصى أو المباشر ؛ ويقدم الينا التاريخ الحديث مثلا من هذا الحصار العام الذى يراد به إذلال دولة أو سحقها بالوسائل الاقتصادية ، وهو القرار الشهير الذى أصدره نابوليون فى سنة ١٨٠٦ والذى يعرف بقرار برلين نسبة إلى البلد الذى صدر فيه ؛ فهذا القرار يقضى بوضع الجزائر البريطانية فى حالة حصار تام ، وبان تقطع فرنسا وجميع الأمم التابعة لها جميع علائقها الاقتصادية والمالية مع انكلترا ، وأن تقفل جميع الثغور الفرنسية وثغور الأمم التابعة لها فى وجه السفن البريطانية ؛ وكان نابوليون يرى بتنظيم هذا الحصار الاقتصادى المطبق إلى سحق تجارة انكلترا التى هى سر عظمتها وغناها بعد أن عجز عن مكافحتها بالوسائل العسكرية ؛ ولكن انكلترا أجابت

على هـذا الحصار بتنظيم المقاطعة التجارية والبحرية ضد فرنسا واتخاذ الاجراءات الانتقامية المماثلة ؛ وقد عانت انكلترا مدى حين آثار هذا الحصار المرهق ، ولـكن فرنسا عانت أيضا من آثاره ؛ ولم يوفق نابوليون إلى تحقيق غايته ، إذ كانت سياسـته قائمة على الغايات والاعتبارات الشخصية ، ولم تفز بنوع من التأييـد الدولي العام ؛ ومن الواضح أن العقوبات الاقتصادية التي توقعها الآن عصبـة الأمم على ايطاليا تقوم على فكرة مماثلة في القصد إلى اضـعاف الدول المعتدية (ايطاليا) وإخضاعها بالوسائل الاقتصادية ، وهي وسائل فعالة في عصرنا ، ولـكن الفرق بين قرار برلين ، وقرار عصبة الأمم أن قرار العصبة يفوز بما يشبه الاجماع الدولي ، وبذلك يتخذ طابعاً دولياً عاما بدلا من أن يتخذ طابع الـكفاح الشخصي بين دولتين ، ويغدو أثره أشد وقعاً وفعلا

أما وسائل الـكفاح السياسي الذي يضطرم اليوم في أوربا ، والذي يراد أن يمهد به للصراع الحربي المقبل ، فما زالت تقوم على نفس الأسس التي عرفتها أوربا منذ قرون . وقد مرت عقب انتهاء الحرب الـكبرى فترة لاح للعالم فيها أن وسائل الـكفاح الدولي القديمة قد عفت ، وأن العالم سوف يستقبل عهد جديدا من الوئام والتفاهم الدولي ، وأن المنازعات الدولية يمكن أن تسوى بالوسائل السلمية مثل التحكيم أو الالتجاء لمحـكمة دوليـة عليا ؛ وكان للعالم عذره في هذا الاعتقاد وهو يرى عصبة الأمم ومثلها العليا ، ومواثيق السلام وعدم الاعتداء يتوالى عقدها منذ ميثاق لوكارنو ، ثم يرى ميثاقا يعقد بتحريم الحرب ونبذها كأداة للسياسة القومية وتنضم اليه أسرة الدول الـكبرى كلها ؛ ولـكن سرعان ما تبدد هـذا الحلم ، وارتفع الطلاء الخلب الذي كان يغشي هذه المظاهر والدعاوى ، وبدت السياسة الدولية في ثوبها الحقيقي القديم ، قائمة على نفس الأسس القديمة التي تدفع أوربا ما بين آونة وأخرى إلى معترك الحروب القومية الـكبرى

أما هذه الأسس التي يقوم عليها معـترك السياسة الدولية اليوم . فهي اعتبارات السياسـة والخصومات والمطامع القومية القديمة ، والتوازن الأوروبي القـديم ، الذي يقسم القارة الى كتل سياسية وعسكرية متشادة متكافئة ، لا تكاد تهم احداها بالتفوق حتى تناهضها أخرى أقوى وأكثر تحفزا ؛ وقد السياسة القومية القديمة تلعب دورها من وراء الستار دائ إبان ازدهار الدعوة الى السلام والتفاهم الدولي ؛ أما اليو اضمحلت هـذه الدعوة وانهارت المواثيق السلمية التي ع باسمها وفي ظلها ، فان السياسة القومية تسيطر في ميدان ا الدولي بصورة ظاهرة غـير منكورة ؛ وأوربا القديمة تنق اليوم عدة جباه سياسية وعسكرية خصيمة ؛ وإذا كانت الجباه قد تغيرت أوضاعها عما كانت عليه قبل الحرب الـ لتغير في الأوضاع السياسية والجغرافية التي ترتبت على الحر فانها ما زالت تحتفظ في جوهرها بهيكلها القـديم ؛ فالخط الفرنسية الألمانية مازالت محور التجاذب السياسي والعسكر أوربا ، وحول هذه الخصومة تجتمع القوى المختلفة ؛ فر الشـيوعية لأنها تخشى ألمانيا الهتـلرية تجنح اليوم الى ا الفرنسية ، بعد أن كانت تجنح من قبل الى الجبهة الألما وفرنسا تحاول أن تستبقي الى جانبها جميع حلفائها بالأمس أعني بريطانيا العظمى وبلجيكا وايطاليا ؛ وهي تبـذل في استبقاء صـداقة ايطاليا جهودا واضحة ، ولا ترى بأساً من تمالئها في مشروع اعتـدائها على الحبشة لأنها تخشى إن سلـكت سبيلا آخر أن تلقى بايطاليا في أحضان ألمانيا ، و رابضة متربصة تحاول أن تحدث هذه الثغرة في الجبهة الخصي ثم إن فرنسا من جهة أخرى تبذل نفوذها في تسيير دول الا الصغير — يوجوسـلافيا ، ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا — الغاية التي تعمل لها دائما ، وهي احاطة ألمانيا بسياج قوي الدول الخصيمة ؛ والواقع أن ألمانيا ما زالت تشـعر أنها بـ هذه الحركة تقع في نوع من العزلة السياسية والعسكرية يدفعها البحث عن أنصار وحلفاء ، وهي قد استطاعت أن تسلخ بولو من أحضان فرنسا ، ولـكن بولونيا ليست قوة كبرى يعتد أما بريطانيا العظمى ، فهي تشق سـبيلها في هذا المعترك ، جانب فرنسا في الغالب ، ولـكن دون خصومة ظاهرة لألما وهي تخاصم اليوم ايطاليا من أجل المسألة الحبشـية ومطام الاستعمارية في شرق أفريقيا ، ولـكنها تحاول أن تجتذب فرا الى جانبها في هذه الخصومة ، وقد استطاعت أن تحرز بعد النجاح في هذا السبيل

والخلاصة أن المعترك الدولى فى أوربا يقوم اليوم على نفس الأسس القديمة التى كان يقوم عليها قبل الحرب الكبرى : السياسة القومية ، والتوازن الأوروبى السياسى والعسكرى ؛ وإذا لم يكن هذا التوازن قد استقر الآن بصورة فعلية فانه يسير فى سبيل الاستقرار ، ومتى تم هذا الاستقرار استطعنا أن نعين المعسكرات الخصيمة التى تشترك فى الحرب الأوربية القادمة ؛ وإذا قلنا الحرب الأوربية فانما نعني الحرب العالمية ، لأن التوازن الأوربى هو أساس التوازن العالمى ؛ وليس فى العالم بعد أوربا قوة يعتد بقوتها السياسية والعسكرية غير اليابان وأمريكا ؛ فاما اليابان فانها تتخذ لنفسها موقفا خاصا ، ولا يمكن تصورها متحدة مع أية دولة أوربية فى ميدان غير الشرق الأقصى ، وأما أمريكا فانه يصعب تصورها ملقية بنفسها فى غمر المعركة الأوربية مرة أخرى ، ومن المحقق أيضا أن الذى يقود أوربا الى ميادين الحرب أو السلام هى نفس الدول التى قادتها إلى الحرب الكبرى وهى المانيا وفرنسا وروسيا وبريطانيا العظمى وإيطاليا

وهنالك عنصر لا يمكن اغفاله فى تطور هذا المعترك ، هو عنصر الدبلوماسية السرية ؛ وقد بلغت الدبلوماسية السرية ذروتها قبيل الحرب الكبرى وفى خلالها ، وكانت مبعث طائفة من المفاجآت والتطورات الخطيرة التى غيرت مصاير الحرب ، ولم ينقطع هذا العنصر السرى فى الدبلوماسية الأوربية عن العمل فى أى وقت ، ولكنه هدأ قليلا عقب الحرب ، أمام اضطرام صيحات السلام والتفاهم الدولى ؛ بيد أنه يستعيد الآن كل أهميته القديمة ، وإذا لم يكن من المستطاع أن نتلمس آثاره الآن فى المعترك الأوربى ، فانه بلا ريب سيحدث أثره فى الوقت المناسب . وعلى أى حال فان السياسة الصريحة لم تكن يوما عماد دول عسكرية استعمارية مثل فرنسا وإيطاليا وألمانيا وروسيا ؛ وقد رأينا كيف لعبت المساعى السرية دورها فى سحب إيطاليا عن التحالف الثلاثى أثناء الحرب الكبرى فمثل هذه المساعى يبذل اليوم من جميع النواحى ، وإيطاليا ما زالت تقف بين الخصمين القديمين — ألمانيا وفرنسا — فى مفترق الطريق ؛ ولا ريب أن المستقبل فياض بمختلف التطورات والمفاجآت

(***)

الاستعمار والتعليم*

للأستاذ ساطع بك الحصرى

مدير التعليم العام بوزارة المعارف العراقية

عند ما طلب إلىّ نادى المعلمين إلقاء محاضرة عامة فى هذه القاعة خطرت على بالى موضوعات عديدة ، اخترت منها موضوع « الاستعمار والتعليم » ولما ذكرت هذا الموضوع فى حديث لأحد أصدقائى اعترضنى بقوله : « لم اخترت هذا الموضوع وقد تخلصنا من شبح الاستعمار ؟ » فقلت له حقاً لقد تخلصنا من الاستعمار ولكن بلادنا فى اتصال ببلاد لا تزال تلعب فيها أيدى الاستعمار . ولا يسوغ لنا وهذه هى الحال أن نتغاضى عما يضمره الاستعمار من الكيد للأمم المستضعفة ؛ زد على ذلك أن للاستعمار أساليب خداعة ، فقد عرف المستعمرون كيف يدسون أساليبهم هذه تحت أستار جذابة قد تفوت المرء لأول مرة قبل أن ينفذ إلى دقائقها . وأخشى أن بعض هذه الأساليب قد يصل إلينا ويتسرب إلى أذهاننا وينخر فى جسمنا من غير أن نشعر به ونتنبه إلى منابعه . لذلك وجب علينا كأمة فتحت عينيها للحياة أن تهتم بهذه المباحث وتمعن فى درسها

لقد أخذ الأوربيون بعد الحرب العظمى يهتمون بسياسة التعليم تنفيذاً لأغراض الاستعمار . وقد عقدوا مؤتمرات عديدة — بعضها قومية وبعضها أممية — للمداولة فى هذه الشؤون ؛ وخليق بنا أن ندرس سياسة الاستعمار من حيث علاقتها بالتعليم ؛ ولهذه الملاحظات جئت أتحدث إليكم هذا المساء عن «الاستعمار والتعليم »

* * *

تعلمون أيها السادة أن كل نظام تعليمى يتكيف عادة بمطالب السياسة العامة ، لذلك لابد لنا ونحن نبحث هذا الموضوع أن نعرف أهداف الاستعمار لنصل إلى أهداف السياسة التعليمية فيه . فلننظر ما هى غاية الاستعمار

لقد اعتاد علماء الاجتماع أن يقسموا المستعمرات إلى ثلاثة

* نص المحاضرة القيمة التى ألقاها الأستاذ ساطع بك الحصرى ببغداد فى الأسبوع الماضى